الأستاذة كميلة واتيكي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية

المحاضرة السادسة : التفكيكية

1-التفكيك لغة: من فعل فكّ، بناء الشيء.

2-التفكيك اصطلاحا:

في الفلسفة والنظرية الأدبية، التفكيك استراتيجية للتحليل النقدي ترتبط بالفيلسوف الفرنسي **جاك ديريدا** وتتجّه نحو كشف الافتراضات الغيبية والتناقضات الداخلية المسلّم بها في لغة الفلسفة والأدب.

3-الأصول والامتداد:

ارتبطت التفكيكية بالفيلسوف الفرنسي **جاك دريدا (Jacques Derrida)** الذي تأثّر بـ**هيدجر(Heideger)**، و**هوسرل(Edmund Husserl) ونيتشه (Neitszer).**

تعود مرجعية أغلب أفكار الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا إلى ثلاث كتب التي نشرها كلّها في فرنسا، وصدرت هذه الكتب كلّها سنة 1967 م، وترجمت إلى اللغة الإنجليزية بالعناوين التالية:

الكلام والظاهرة (1973)Speechand Phanomena

علم الكتابة (1976) Grammatologie

الكتابة والاختلاف (1978)Writting and Diffference

تعتبر التفكيكية امتدادا للبنيوية، برفعها من شأن القراءة، لتجعل السلطة الحقيقية للقارئ لا المؤلف، فهي تسعى إلى قتل القراءة الأحاديّة، والدعوة إلى التّعدديّة القرائية، فقد كان دريدا يريد تأسيس ممارسة تتحدّى تلك النصوص التي تبدو وكأنّها مرتبطة بمدلول محدّد ونهائي وصريح.

كما اقترنت التفكيكية بتشريح اللغة، والفلسفة، والنصوص الأدبية. **فجاك دريدا** هو الذي أسّس التفكيكية كمقارنة للنصوص ونقد لها، فقراءته للنصوص المختلفة ونصوصه التي وضعها تشكّل كلّها استكشافا لمركزية الكلمة الغربية وميتافيزيقيا الحضور؛ فهذه النصوص تؤكدّها وتزعزعها في آن واحد، الميتافيزيقا الوحيدة التي نعرفها وهي تكمن خلف تفكيرنا كلّه. ويمكن القول أنّ الميتافيزيقا تؤدي إلى مفارقات تتحدى تناسقها وتماسكها الفكري.

لقد تسلّح دريدا بالتفكيكية لتقويض المقولات المركزية للسانيين، وإعادة النظر في الثنائيات كالدال والمدلول، والصوت والكتابة، والسانكرونية والدياكرونية، واللغة والكلام، والتضمين والتعيين، والمحور الاستبدالي والمحور التركيبي...

إنّ فلسفة الدال التي هيمنت على ثقافة الغرب كانت بمثابة ميتافريزقية مثالية ليس إلا، وبهذا يشكّل الصوت الحضور والوجود والكينونة الأنطولوجية، أي: رمز تواجد الجسد، وحضور المتكلمين في الزمان والمكان. وبهذا فقد قوّض دريدا الصوت والدال الكلامي وأعطى الأسبقية للكتابة على الصوت، وتحيل الكتابة على مؤسسة ونظام مستمر مشكّل من شبكة من الاختلافات، بمعنى أنّ ليس هناك مدلول واحد، بل مدلولات متعددة ومختلفة.

كتب دريدا أنّ الإطار التاريخي للميتافيزيقا هو تحديد الوجود بوصفه حضورا ومن الممكن أن نتبيّن أنّ كلّ الكلمات المتصلة بالأساسيات والمبادئ أو المركز قد ظلّت تسمى باستمرار ثابت حضور.

يدعو دريدا إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز، فالمركز لا يمكن لمسه في شكل الوجود، ولا يملك خاصية مكانية، كما أنّه ليس مثبتا موضعيا وظيفيا، إنّه نوع من اللامكان، وبغيابه، أو تقويضه، يتحوّل كلّ شيء إلى خطاب، وتذوب الدلالة المركزية أو الأصلية المفترضة أو المتعالية، وينفتح الخطاب على أفق المستقبل دونما ضوابط مسبقة، وتتحوّل قوّة الحضور، بفعل نظام الاختلاف، إلى غياب الدلالة المُتعالية، إلى تخصيب للدلالة المُحتملة.

إنّ دريدا لا يريد تحدّي معنى النصّ فحسب، بل يطمح إلى تحدّي ميتافيزيقا الحضور، الوثيقة النصيّة بمفهوم التأويل القائم على وجود مدلول نهائيّ. من جهة أخرى يقدّم لنا **كريس بالديك** القراءة التفكيكيّة

على أنّها منهج يتبيّن بواسطته أنّ معاني النصّ في وسعها مقاومة الاستيعاب النهائي ضمن الإطار التأويلي.

انتقد جاك دريدا فكرة أحادية المدلول وفكرة الكلية العضوية المحددة التي تحيلنا على فكرة الانسجام في الكتابة الإبداعية، رافضا فكرة التأوليين **كبول ريكور Paul Ricoeur**، معتبرا أنّ الكتاب الحقيقي هو الذي لا يرتبط بمبدعه، أو لا يحمل هويته الفردية أو الإبداعية، بل الكتاب الحقيقي هو الذي تنعدم فيه الكليّة، وتغيب فيه الدلالة، وتكثر فيه الاختلافات وعلامات العلامات.

4- القراءة التفكيكية في ضوء تصوّر دريدا:

لقد اقترح **جاك دريدا** قراءة النص بما هو إنتاج لمعان غير قابلة للتّجمع وفقا لهذا التصوّر فإنّ العلامة اللغوية تغدو موضع تشويش دائم بين المعنى المرجعيّ والمعنى المجازي، إنّ القارئ لا يستطيع السّيطرة على النصّ، لأنّ هذا النصّ لا يسمح له بذلك.

من منظور القراءة التفكيكيّة أنّ الخطاب يُنتج باستمرار، ولا يتوقّف بموت كاتبه، ولهذا يؤكّد **دريدا** على الكتابة بدلا من الكلام، لكونها تنطوي على ضرورة البقاء بغياب المنتج الأوّل، في حين يتعذّر ذلك بالنسبة للكلام.

يتجاوز مفهوم الكتابة في ضوء التصوّر التفكيكي الدلالة التدوينيّة إلى مفهوم أوسع، يقوم على أنّ النصّ المكتوب نصّ مفتوح متغيّر، ومتجدّد باستمرار، وفي وسع القارئ أن يعيد كتابته بصورة تأويلية متغيّرة مع كلّ قراءة، فالقارئ هو الفضاء الذي ترتسم فيه كلّ الاقتباسات التي تتألّف منها الكتابة دون أن يضيع أيّ منها أو يلحقه التلف.

يقول **دريدا:** «أعتقد أنّه من غير الممكن الانحباس داخل النصّ الأدبي. إنّ المحايثة أو الباطنيّة الأدبية المحضة تقوم في نظري بالاحتماء داخل الحدود المُقامة تاريخيّا، والتي تفترض مجموعا كاملا من العقود التاريخيّة المتعلقة بتأطير النصّ وتحديد وحدته ومتنه وضماناته القانونية، وما إلى ذلك من تحديات اجتماعية/فضائية، يجب بالطبع- على الأقلّ- وبصورة مؤقتة أن تتحرّك داخل هذه الحدود لدفع القراءة المحايثة إلى أبعد ما يمكن، ولكنّها لا تستطيع في رأيي أن تكون راديكاليّة تماما، هذا شيء نابع من بنية النص نفسه، إنّما لا نستطيع أن نبقى داخل النّصّ، لكن هذا لا يعني علينا أن نمارس بسذاجة سوسيولوجية النّصّ أو دراسته السّيكولوجيّة أو السّياسية أو سيرة المؤلّف، أعتقد أنّ هناك بين خارج النّصّ

وداخله توزيعا آخر للمجال أو الحيّز، وأعتقد أنّه سواء في القراءة الباطنية أم في القراءة التفسيريّة للنصّ من خلال مسيرة الكاتب أو تاريخ الحقبة، يظلّ هناك شيء ما ناقصا دائما »

تأخذ التفكيكية على عاتقها قراءة مزدوجة فهي تصف الطرق التي تقوم عليها أفكار النص المحلّل، تضعها موضع تساؤل وتستخدم نظام الأفكار التي يسعى النص في نطاقها بالاختلافات وبقية المركبات لتضع اتساق ذلك النظام موضع التساؤل، ولكن استندت كلّ نصوص دريدا والنصوص التي قرأها على هذه المزاوجة بين المسلمات الميتافيزيقية والموتيفات النقدية، وهذا ما يؤدي إلى نشوء مشكلة لم يكن هناك سبيل إلى حلّها حتى الآن.

وننتهي إلى مجموعة أخرى من المبادئ النظرية والتطبيقية للمقاربة التفكيكية التالية:

1- ضمن مفهوم التناص تبرز بعض مصطلحات التفكيكية كالتكراريّة التي تلغي الأسوار الحدوديّة بين النصوص وتجعل كلّ نصّ مقابلا لاسترجاع نصّ مقابلا لاسترجاع نصّ آخر وتكراره، ففكرة التناص جزء من النظرية التفكيكيّة التي تكشف السياق على أنّه ذو طبيعة اعتباطية، إضافة إلى قوّته البنائيّة، ولذا فإنّ السّياق يتداخل عبر الاقتباس فتتحرّك الإشارات المكرّرة كاسرة لحواجز النصوص، وعابرة من نص إلى آخر حاملة معها تاريخها وتاريخ سياقاتها المتعاقبة، فيتعدّد معها الموروث الأدبي وتنشأ من خلالها فكرة (النصوص المتداخلة)، ويصبح السياق مطلقا لا تحصره حدود، ومن خلال قصيدة واحدة يمكن قراءة مئات القصائد، ونجد فيها مالا يحدّ من سياقات تحضرها الإشارات المكرّرة؛ بمعنى أنّ صانع النصوص أنفسهم ما هو سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي، وهم يكتبون من فيض هذا المخزون الثقافي في ذاكرتهم كأفراد اللاوعي الجمعي لمجتمعاتهم.

2- ما يرمي إليه فيلسوف التفكيك اكتشاف قواعد إنتاج النص التي تمكننا من الإمساك بالآليات التي تنتج موضوعاته ومفاهيمه وترسم له حدوده الدلالية، والتي تقودنا معرفتها إلى إعادة توزيع مفرداته وعناصره واستغلال فراغاته أو استثمارها؛ لا على شكل ارتدادات إلى قصديات سابقة على النص، وعلى على شكل غايات يؤدي إليها النصّ، وإنّما في صورة إعادة كتابة أو استنساخ، تفسح المجال لبروز الثغرات والتناقضات والتساؤلات، وتعمل جاهدة على فتح النص.

3- يسعى دريدا إلى تأسيس ظاهرية جديدة تقوم على المغايرة التامة، أو على نوع من القفزة خارج حدود " الريطوريقا " التقليدية التي تردّ النص، إلى " جوانية" مبدعة من جهة، وإلى " خارجية" مرجعه من جهة أخرى.

4- يتحوّل النص بناء على ما سبق إلى ممارسة إنتاجية لدلالات تتولّد عنه، لا تتطابق ومعطياته المباشرة أو تردّ إلى معاني كامنة، وإنّما لدلالات قابلة دوما للإنتاج انطلاقا من فراغات الكتابة ومن المساحات البيضاء التي تولّد فراغات.

5- وتنبثق صورة المؤلّف، وتغيب صورته الحيّة لتصبح محض بؤرة في شبكة النص أو محض هوية نحوية تسمح بتقطيع جمله وإعادة توزيعها أو إبدال عناصرها، لا من منطلق توليد المعاني، وإنّما على مستوى البناء والتركيب وإعادة تفكيك البناء والتركيب، على شاكلة تكاثر الأبناء من خلال موت الأب.

6-العلامة هي تمثيل للموجود في حالة غيابه، لهذا السبب نرتكز في المقاربة التفكيكية على العلامات، باعتبارها وجودا مُرْجَأً، في اللحظة التي بإمكاننا تلّمس الموجود، لهذا تخلق عند دريدا " الاختلاف المُرجَأ للإطالة".

7- فالمبدع لا يستطيع أن يُنتجَ سوى علامات فارغة، تاركا للقراء مهمة ملئها.

8-الدال مُنفلتٌ من القيود المُعجمية التي كانت تُثقلُه، إنّه سائرٌ في فضاء لا يحدّ، مرتبطا بعلاقات مُمكنة غير أكيدة، فقد أُلغيت العلاقات الثابتة.

9- اللغة عند جاك ديردا لغة استعارية، فالنص يمثّل تركيبة لغوية تُعارض نفسَها من الداخل، بكسور وفجوات وشروخ كثيرة على نحو يجعل النص الإبداعي قابلا لتأويلات لا منتهى لها.

10-يُظهرُ النص شيئا مختلفا إلى حدّ ما عما يبدو أنّه يقوله، فالصلة بين المعنى والنص مقطوعة.

استطاعت التفكيكية أن تولّد عن طريق الكتابة صورة متحركة للفكر البشري، وذلك بقدر ما تشكّل ظاهرة الكتابة الفكر في مآله، بوصفه ممارسة إبداعية، وليس في ماضيه أو في تطابقه مع الخطاب السائد.